

# عن الألقاب والنجوم.. والثقافة والريح!

محمد عمر بحاح

يولع اخوتنا المصريون كثيراً بالألقاب فمصر عندهم هي ام الدنيا وعاصمتها القاهرة قلب العروبة النابض وزعيمها سعد زغلول قائد ثورة ١٩١٩م زعيم الأمة وزعيمها جمال عبدالناصر بطل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م رائد القومية العربية وفنانتهم أم كلثوم كوكب الشرق وسيدة الغناء العربي ومحمد عبدالوهاب موسيقار الاجيال وطه حسين عميد الادب العربي وتوفيق الحكيم عميد المسرح العربي ونجيب محفوظ الحائز العربي الوحيد على جائزة نوبل في الادب عميد الرواية العربية وفاتن حمامة سيدة الشاشة العربية وعبدالحليم حافظ العنديل الاسمر وسعاد حسني ساندريللا الشاشة العربية وامينة رزق راهبة الشاشة، وهكذا فان احمد شوقي عندهم هو أمير الشعراء وحافظ ابراهيم شاعر النيل وعماد حمدي فتى الشاشة الاول وفريد شوقي الملك وعادل امام الزعيم ويوسف وهبي عميد المسرح العربي وشادية دلوعة الشاشة وهند رستم مارلين مونرو العرب وليلى طاهر قارورة العسل، وتتنافس كل من نبيلة عبيد ونادية الجندي على لقب نجمة مصر الاولى ونجمة الجماهير في افيشات افلامهما لاغراض تتعلق بشباك التذاكر والفوز بقلوب الجماهير لكنهما لم تحظيا بالاعتراف من النقاد والجمهور لتستحقا هذا اللقب عن جدارة.

اللافت ان المصريين ينسبون زعماءهم ومشاهيرهم في الغالب الى كل العرب وليس الى مصر وحدها ليس من باب الاعتراف بهم وتقدير تفوقهم فقط بل التأكيد انهم عابرون للحيز الجغرافي لحدود مصر او لوادي النيل وان تأثيرهم يمتد من المحيط الى الخليج.

كانت مصر ولا تزال بحكم إرث تاريخي حضاري وثقافي يمتد الى ما قبل الميلاد بعدة قرون تسهم بدور عظيم في الثقافة والحضارة العربية والانسانية ليس في الماضي وحسب بل في عصرنا الراهن. ويكاد لا يوجد بلد عربي او متقف عربي لم ينهل من معين الثقافة المصرية والمفكرين والمبدعين المصريين في مرحلة من المراحل، او يتأثر بها وبهم على الاقل في بعض جوانب هذه الثقافة سواء في الاداب او الفن او الفكر.. خاصة ان مصر ظلت المنتج الاكبر لكثير من اوجه الثقافة والفنون في المسرح والموسيقى والرواية والسينما والدراما الاذاعية والتلفزيونية والصحافة وصناعة الكتاب.

## تعدد المراكز.. إثراء وتنوع

اليوم.. لم تعد مصر وحدها في هذا المجال. فقد انتشرت الى جانبها بلدان وعواصم عربية اخرى شهدت مرحلة تطور واضحة في انتاج الثقافة، وتلعب دورها في التعريف بأدابها وفنونها الخاصة وبمشاهيرها بعد ان تهيأت الظروف التي تساعدها على ذلك.

هناك اليوم سورية ولبنان والعراق وتونس والمغرب والجزائر وغيرها من البلدان العربية التي تسهم في حركة التطور الثقافي العربي ولم يعد الامر يتعلق بمركز حضاري واحد، بل تعددت المراكز الثقافية العربية.. وهي حركة تتسع وتضفي ثراء على هذه الثقافة كما تضيف عليها التنوع، ويسهم كل بلد عربي بدوره فيها.

لكن هذا لا ينعكس من دور مصري الريادي كأحد اكبر المنتجين لكثير من اوجه الثقافة العربية، ليس بحكم ثقلها الحضاري كأكبر بلد عربي فحسب بل بحكم دورها ومسؤوليتها وقدرتها وتأثيرها الذي صبغ روحها العربية القومية بشكل عام.

ليس ذلك فحسب، بل ان حركة التطور المتصاعدة في الوطن العربي في العقود الاخيرة، دفعت ببلدان عربية صغيرة لم يكن لها اي دور، او كان لها دور متواضع، او كانت بعيدة بحكم ظروفها عن المساهمة بانتاج نصيبها في الثقافة العربية الى عدم القبول بان تظل مجرد اطراف متلقية لما تنتجه المراكز العربية الكبيرة، بل شرعت في

الصغير».. واطلق اللبنانيون على اديبهم وشاعرهم العظيم جبران خليل جبران (النبي) مستعيرين اللقب من واحد من اهم كتبه. واستحقت فيروز بامتياز لقبها بالاجماع (سفيرة لبنان الى كل العرب) لا ينازعها فيه احد.

واعطى السوريون وسورية هي احدى المراكز الحضارية المهمة في انتاج الثقافة العربية لقب (فنان الشعب) لاثنتين من اهم مشاهيرها المعاصرين في الغناء والتمثيل هما: صباح فخري ورفيق السبيعي وتفرد جورج وسوف بلقب (سلطان الطرب) وان كان يقال ان بيروت صانعة النجوم هي من اضفى عليه هذا اللقب. واستغنى بريد لحام بلقب (غوار) الذي اشتهر به في كل الوطن العربي عن اي لقب آخر، فصار علماً عليه وحده.

## .. بين العاطفة .. والعقلانية

ورغم ان المغاربة (تونس، المغرب، الجزائر) منتجون حقيقيون للثقافة لكنهم لا يزالوا بعيدين عنا نحن في المشرق العربي، وتأثير ثقافتهم ضعيف او محدود علينا بحكم تقصير يراه المغاربة بانه مشرقي، ويراه المشاركة بانه مغاربي! ولعبت فيه عوامل جغرافية وتاريخية ولا تزال دورها في الاحاطة بثقافة المغرب العربي بالقدر الذي يحيط به اخوتنا المغاربة بثقافتنا العربية المشرقية.. لهذا لا نعلم ان كان لديهم نفس الولوج باللقاب.. لكن على العموم يقال ان المغاربة يميلون اكثر الى العقلانية، بينما نحن في المشرق اميل الى العاطفة!

## .. بيت القصيد ..!

اليمنيون.. ربما لم يجدوا من بين مشاهيرهم ومبدعيهم من يستحق اطلاق لقب يميز عليه او يرونهم دون مستوى النجومية، لهذا نجد صعوبة في استحضار لقب احد منهم.. وربما يعود السبب انه لا توجد في اليمن مؤسسات ومكنة اعلامية لصناعة النجوم، وتلميع المبدع وتسويقه على غرار اترابهم في بقية الوطن العربي، حيث على المبدع اليمني اديبا كان او مطربا ان يسوق نفسه بنفسه ويصنع نجوميته وحده بامكانياته الخاصة، المحددة جداً دون سند او دعم من احد.

لا تزال اليمن متخلفة عن الاسهام بدور ملموس في المنتج الثقافي العربي رغم وجود مبدعين في كافة المجالات في الشعر والقصة والرواية والغناء والفنون التشكيلية.. ربما لانها لم تع بعد الدور الخطير للثقافة في قيام اية نهضة في تعزيز الوحدة الوطنية وتعميق الشعور الوطني والقومي.. لهذا لا نجد دولة راعية للثقافة او مؤسسات مجتمعية تسند دور المبدع وترعاه ونهيه له سبل الانتاج والانتشار والدعاية.. بل عليه ان يقلع شوكة باصبع يديه المجروحة!

ورغم اعترافنا بان الابداع عملية فردية، لكن لا يمكن فصله عن المحيط الاجتماعي الذي يكسبه هويته الوطنية ومضمونه الاجتماعي، ويوفر له شروط النجاح والانتشار.. بل ان دور المجتمع مهم جداً وبدونه لا تكتمل عملية الابداع وتفقد احد اهم شروطها.. وهي مسألة ينبغي ان نوليها الاهمية التي تستحق.. فنحن في ظروف معقدة جداً، تتطلب منا ان نولي الثقافة اهمية قصوى، وبدونها لن نستطيع حماية نسيجنا الاجتماعي ووجدتنا الوطنية من الريح التي تهب عليها من كل اتجاه!

انتاج وتسويق ادابها وفنونها الخاصة، بعد ان ادركت الدور المتعاظم للثقافة في اية نهضة، وتهيأت لها الظروف المناسبة، وامتلكت الامكانيات البشرية والمادية والوسائل الفنية، فصار لها دور معترف به في مسار الابداع العربي، وفي تطور ثقافتها الوطنية.

وبصفة خاصة يمكن الاشارة الى كل من الكويت والامارات والبحرين والسعودية وغيرها التي تحقق مساهمة ملموسة في مجال الابداع سواء في الشعر او الرواية او الغناء. وصناعة الكتاب وإصدار الصحف والمجلات والدوريات الثقافية والفنية، فصار لها كتاب وشعراء وفنانون احتلوا



نجيب محفوظ



توفيق الحكيم



طه حسين



أم كلثوم



محمد عبدالوهاب



محمد عبد

مكانتهم في خارطة الثقافة العربية الراهنة الى الحد الذي اغرى إمارة ومدينة صغيرة كدبي بتنظيم مهرجان عالمي للسينما واكثر من عاصمة خليجية الى اقامة مهرجانات سنوية للشعر والغناء يدعى إليها الابداء والفنانون من كافة الاقطار العربية.. وفي تنظيم معارض دولية للكتاب تشترك فيها دور نشر عربية وعالمية وفي تخصيص جوائز للمبدعين في الشعر والقصة والرواية والنقد.

## .. ليسوا وحدهم ..!

ويبدو ان بعض الاخوة العرب، جرياً على عادة المصريين بولعهم باللقاب ذات البريق النجمي استعاروا منهم ذلك او استلهموا ان لم نقل قلدوه فالسعوديون يسمون فنانهم الاول محمد عبده «فنان العرب» فلا يقدم في حفل او في وسيلة اعلامية الا مسبقاً به وان كان يقال ان الرئيس التونسي الراحل الحبيب بورقيبة هو اول من اطلقه عليه عندما غنى في تونس، لكنه سرعان ما اصبح علماً عليه..

وسبقهم اللبنانيون وعاصمتهم بيروت وهي واحدة من اهم العواصم العربية في صناعة الكتاب والنجوم وانتاج الثقافة العربية وتسويقها الى ذلك فاطلقوا على شاعرهم الكبير رشيد سليم الخوري (القروي).. وعلى عدد من ادبائهم وشعرائهم المشاهير بأدباء او «شعراء المهجر» واطلق الشاعر عبدالله الاخطل على نفسه «الاخطل